المتلقي وفلسفة المكان
رواية (شواطئ الدم شواطئ الملح) أنموذجاً

أ.م.د. أرشد يوسف عباس
كلية التربية / جامعة كركوك

الملخص

يترك المكان أثراً كبيراً في نفسية الانسان ويتعلق إحساسه به كلما طال به الأزمان، وتزداد ذرة إحساسه عندما تتوجه الرؤية صوب المكان القديم، الذي يحفل بأحداث كثيرة مليئة بالأفراح والأحزان.

وعلى هذا السبب يكون هاجس المكان حيزاً منزوياً في أطراف الذاكرة، التي تمثل مركزاً مهماً يتحدث بها بين حين وآخر.

وفي ضوء هذه الرؤية تنشئ الرؤية لغة جديدة تتسم بلغة إختزالية إذ يتراجع المكان الحقيقي أمام المكان الجديد، الذي يتشكل في مخيلة الكاتب عبر انفتاح الذاكرة نحو الماضي.

ومن الطبيعي أن تنشط فعالية الخيال والتخييل عند الكاتب وفي المقابل تنشط فعالية التخييل عند المتلقي، وتكون اللغة وسيلة التواصل بينهما.

وعلى هذا الأساس سعينا إلى دراسة شعرية المكان في نصوص سردية.

وبالتحديد رواية (شواطئ الدم شواطئ الملح) للإبراهيم حسن ناصر وحاولنا أن نبين كيف شكل المكان موضوعاً للتخييل والخيال بالنسبة للراوي.

المقدمة

لا يسعى هذا البحث التموضع ضمن الإطار التقليدي الذي يدرس المناخ المكاني ،إنما يحاول أن يؤسس لنفسه كدارس أكثر جديةٌ لتشكيلات المكان ، وتنبعث منه أنواع جديدة عبرتسليط المبدع نشاطه الذهني على الواقع ،واضعا في اعتباره الصور المكانية كنص ادبي _كالعمل _ببنية انتاجية دلالية ، ترتب عليه الكشف عن الابعاد المعرفية لدواعي تشكل الصور، لذلك جاءت صور المكان عن طريق الحلم أو الرؤية٠

وعلى الرغم من إعتقادنا الجازم بأن هذه الدراسة لا تخلو من مغامرة وعدم تقبل للإمر٠ إلا أننا عقدنا العزم عليها٠لأن مفهوم الحداثة يسمح للنقاد بتفجير النص الأدبي٠

ورصد مدى تفاعل الإنسان مع المكان ، ومدى تأثير الحالة النفسية للمبدع ،الذي يقيم في ذهنة عالماَ خياليا في مخيلته إزاء العالم الواقع ،ولا يمكن رؤيته الا عن طريق اللغة الأدبية٠

أود أن اشير بدءَ، الى انني حاولت أن اوفر لهذا البحث مقومات اساسية لقيمته العلمية، هي أن أدرس المكان ببعده النفسي يقوم على قدر كبير من الانطباعات والحالات النفسية ٠ذلك أن الاهداف التي يرسمها البحث ،تبدأ من تأسيس رؤية المبدع حول الصورة المكانية ،ارتسمت في المخيلة نتيجة قوة نزوعية بفعل انتهاك الواقع أو الاحساس بعدم تقبل الامر الواقع،٠فولدت في نفسه احساس يتسم بلحظة عدم التأقلم ، فكانت الصورة الذهنية منفذا يلجا اليه المبدع٠

اقتضت طبيعة البحث أن يكون هناك مدخل إلى دراسة المصطلحات المتداولة في البحث من جانب الشعر ذلك من شانه أن يكون معيناَ على فهم المصطلحات الواردة فيه –ويراها ضرورية – ومن جهة اخرى نرى أن المصطلحات بدأت مع الشعر ، ولا يمكن حصرها ضمن حدوده ، بل يمكن اسقاطها على جانب النثر ، لأن العمل الفني هو صناعة وابداع ٠ ما يتوافر في الشعر ، يمكن أن يتواجد في النثر٠

ويرى الباحث عدم التطرق على انواع التشكيلات المكانية المعروفة لدى القصة والرواية ليس قصد الاهمال ،انما النظر الى المكان من زواية أخرى، يتبلور بتشكيلات جديدة يضعه المبدع في إعتبار المتلقي والذي بدوره يتفاعل مع الانواع الجديدة ٠

وفي ضوء هذا البحث نتوقف مع المتلقي الذي يعد مدخلا الى موضوعنا ونتعامل مع المكان ضمن نزعة نفسية ،مستجلين أثر العامل النفسي رؤية المبدع ،والذي بدوره يشكل في مخيلته صورللمكان من خلال الزوايا الاتية:–

١– المكان المتخيل

٢– مكان التخييل

٣– المكان الخيالي

<u>التوطئة</u>

ولد الروائي (ابراهيم حسن ناصر) في قرية اسديرة وسطى التابعة لمحافظة نينوى على الساحل الشرقي لنهر دجلة ١٩٦١ .ودرس في مدرسة القرية الابتدائية واكمل دراسته الثانوية عام ١٩٨٠ ثم التحق بجامعة بغداد /كلية الأداب /قسم الاعلام وفي سنة

١٩٨٣ انهى دراسته الجامعية وحصل على شهادة البكالوريوس في الصحافة ٠ وفي عام ١٩٨٤ التحق بالخدمة العسكرية فانهى كلية الضباط الاحتياط عام ١٩٨٥ خدم برتبة ملازم في الجيش العراقي ثم نقل إلى جهات القتال وكانت معارك الفاو في اوج ظراوتها ٠ وكانت رحلة شاقة مليئة بالاحداث المثيرة حيث اختلطت الدماء بالماء والملح لتكون صورة من صور ظلم الانسان ٠

صدرت للروائي الراحل عن دار الشؤون الثقافية العامة (رواية شواطئ الدم شواطئ الملح) التي حصلت على الجائزة الاولى لروايات الحرب عام ١٩٨٨ ٠ونالت إعجاب القراء ٠وهناك رواية ثانية بعنوان (صدى مكحول) ٠

تعد رواية (شواطئ الدم شواطئ الملح) من روايات الحرب الجريئة التي اتخدت منحى خاصا في عالم الرواية ، اذ تمكن فيها من رسم لوحة واضحة الالوان بعيدة الابعاد ،عبر عنها باحساس صادق واقعي ، احساس القروي والعاشق الذي جاءالفراغ ليدخل إطارا تكللت فيه الاحاسيس والمشاعر بفعل الدم والملح فحاول جاهدا ان ينقل تلك الاحاسيس عبر الخيالات الى غيره ممن هم بعيدون ، ولكنهم يسكنون باماكن قريبة الى قلبه ٠

إضاءة مفهوم التلقي :-

بداَ لابد أن نشير إلى كثرة استعمال القرأن الكريم للفعل (لقي) نظراَ لكثرة صيغته وتعدد معاينة ، وهذا الاستعمال يدل على أهمية التلقي واعطائه بعدا مميزا ولاسيما في تعاملـه مـع النص القرآنـي٠

ومن الملاحظ أن الراغب الاصفهاني (١)،أورد في معجمة أيات كثيرة وصيغا متنوعة لأصـل الفعل (لقي)٠ ويبدو أن معاني مشتقات (لقي)غزيرة بمعانيها التي يولدها السياق القرآني٠ والذي يهمنا مجي التلقي بمعنى الاستقبال فقال الله عز وجل ((فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم))(٢)، جاء في تفسير الرازي لتفسير (التلقي) ان أصل التلقي هو التعرض للقاء،ثم يوضح في موضع الاستقبال للشي ٠٠٠ ويقال وتلقينا الحجاج أي استقبلناهم ٠٠ تلقي آدم أي أخدها ووعاها واستقبلها بالقبول(٣)وأضاف صاحب الكشاف أن معنى تلقي الكلمة استقبالها بالاخد والقبول٠(٤) ويقول الطاهرين عاشور في سياق تفسره قوله عزوجل (وتتلقاهم الملائكة)(٥)إن صيغة تفعل من لقيه دالة على التكلف ويتطلب لقاءه الاستقبال والعمل به (٦) لاشك أن معنى

التلقي هنا يقابله معنى الاستقبال ، والعمل ضمن التوجيهات التي جاءت في السياق القراني ٠

أما في المعنى اللغوي :- فإن المتلقي (اسم الفاعل) مأخوذ من الأصل الثلاثي (لقي) وقد تنوعت المعاني التي اشتقتت من الأصل ٠ فقد جاء في المقاييس بمعان ثلاثة ٠أحدهما يدل على عوج ،والأخر على توافي شيئين ،والآخر على طرح الشي (٧)

وانطلاقاَ من القاعدة الصرفية (أن كل زيادة في المبنى يترتب عليها زيادة في المعنى)يتأسس القول في أن أية زيادة على الاصل الثلاثي يكتسب معاني جديدة ،فقد جاء في اللسان (لقي) تلقى الركبان ٠هو أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد ويخبره بكساد ما معه كذباَ ليشتري منه ساعته ٠٠(٨) فالتلقي هنا يتضمن معنى الاستقبال ٠

ان التلقي هنا يتيح لنا ان نضع تحته عدداً من المفردات اللغوية التي تشير في معناها الى الاستقبال وكل شيء من الأشياء إذا استقبل شيئاَ أو صادفة فقد لقيه(٩)وهذا يعني أن المتلقي هو المرسل اليه يوجه اليه الخطاب (الرسالة)والذي يعتني بمضمون الرسالة محاولاَ منه كشف فحوى النص بفعل القراءة، فهو مدار الاهتمام في نظر المناهج النقدية ،ويوازي دوره دور النص في تحقيق قراءة الخطاب الادبي ،وعليه لابد أن نعول كثيراَ على طبيعة تلقيه النص ٠وقدرته على تحقيق ما يسمى بتعدد القراءات (١٠)وهذا يقودنا إلى ما يمكن تسميته بثقافة المتلقي التي يجب أن لا تقل بأي حال عن ثقافة المبدع حتى يكون المشترك المعرفي متحققا (١١)ولكي يمارس المتلقي دوره عليه أن يتسلح بمعرفة ((تؤهله للتحاور مع النص ومفاوضته قصد سبر أغواره وكشف شقوقه))(١٢)فبين الفعلين تنهض علاقة التأويل ،والتأويل هو صمت النص الدي يصوغه المتلقي عبر دلالاته الهاربة إلى لغة يولد فيها أبداَ ، بهذه الصياغة يضاء اللامنظور الخفي ، وينفخ النص ويسجل حضوره على مستوى الحاضر ،(١٣) يفضل (اذن) للنص صمته والمتلقي حضوره ،وثنائية الفعل تولد عالماَ افهامياَ ،يبدأ مع المبدع ،ويتفاعل معه المتلقي الذي يخرج النص إلى الوجود بفعلا القراءة والتأويل ونقله من حالة الجمود إلى حالة الحيوية ،ذلك ((الفعل الابداعي لحظة غير مكتملة في العمل الأدبي ٠ لأن عملية الكتابة تفترض عملية القراءة كتلازم جدلي، وهذان الفعلان المترابطان يتطلبان فاعلين هما المؤلف والقارئ(١٤) ولكي يوظف المتلقي الأطر المعرفية في تأويل النص،ويكشف لنا عن دلالاته،يضع نفسه في حالة

بحث دائم أشبه بحالة أخذ وعطاء ،لان في النص قوة ((تكمن في قدرته على اغراء القارئ واغوائه وجره إلى عالمه كي يحقق هوتيه ويبرز معانيه ، فإن قوة القارئ تتمثل في اغناء النص واثرائه بتشغيل مدخراته والاستعانة بمخزوناته الثقافية والمعرفية المباشرة وغير المباشرة))(١٥)

ويمكن لنا أن نميز من خلال الإراء المعاصرة بين عدة أنواع من القراء ٠فكل قارئ له تصور خاص ٠أو بحسب الدور الذي يقوم به في تفعيل النص ٠والذي يهمنا من هذه المستويات هو القارئ الضمني ٠ فقد عرض (آيرز)مفهوماَ يسهم في بناء معناه لأن ((فكرة القارئ الضمني تحيل إلى بنية قرينة بالمتلقي ٠٠وتصوراته يضع القارئ في مواجهة في صيغ موقع نصي يصبح الفهم بالعلاقة معه فعلاَ))(١٦)أي هي لحظة الكشف والمكاشفة بين المبدع والمتلقي ، لحظة الابداع تمثله التكتم والنشر واستغلال الطاقات اللغوية والتعبيرية ، ولحظة القراءة هي لحظة ارتياد ومغامرة ،لحظة الكشف عما وراء النص المستتر ٠(١٧)

ولكي تكتمل العملية الابداعية على نحو تام يجب الا يكتفي بتقديم المعنى فقط ،وانما يقوم بانتاج الدلالالة، (١٨)وبما أن عملية القراءة هي اوليات بناء المعنى فعلى القارئ أن يسلط معرفته وجهوده في انتاج النص ، لأن العلاقة هنا –حسب رأي رولان بارن – ليست علاقة ارسال واستقبال ، أو علاقة انتاج واستهلاك ، وانما هي علاقة تشكلات على وفق منطق خاص ،وهو منطق الشفرة النصية (١٩)

إن قراءة متبصرة للنص ،تضعنا بازاء مجموعة من المفردات والتعبيرات ،تنشأ فيها بترشح بعدد لا بأس من التلاويلات المتاحة ، وتمثل علاقة أدراك الفهم الفيصل في اقتحام منطقة الانتاج وفهم الادراك ،وذلك باعادة ترتيب أنظمة الكتابة وتشغيلها لصنع النص أو أحد معانيه٠ فالنص لا يتهيأ كوحدة كلية قابلة للاختراق ،وإنما ينتقل الى وعي المتلقي(فكل لحظة من لحظات تمظهراته أثناء القراءة،هي جزء ناقص من الادراك يكمله او يغيره غيره من التمظهرات المتعابقة)(٢٠)

فالقراءة على صلة وثيقة بانتاج المعنى،وإقتحام المعنى المناسب هو فعل الادراك من خلال تأويلات عديدة،لانه (ليس في افق القراءة حدود لدلالات النص ولا حدود لقراءاته وتأويلاته ، ما دام وجوده في حد ذاته مرتبطا أصلا بتعدد منافده وبتنوع إغراءاته لانه منفتح بطعبيتة على لعبة الدال والمدلول)(٢١)

وهذا الامر يحيلناعلى مفهوم (الفهم) فالمتلقي حينما يدرك معنى النص ويقف عند إنتاج الدلالات٠ عليه أن يعي عملية الفهم ،فقد أشار (ياوس) الى ((أن الفهم يتضمن دائما بداية التفسير ،وأن التفسير بالتالي هو الشكل الظاهر للفهم))(٢٢)،بمعنى ان المعنى يحتمل الادراك بصورة حتمية٠وتندرج الحتمية تحت مقولة التفاعل التي تبنها جمالية المتلقي٠لذلك ربط الفهم مع الادراك الذي هو ((أن نفهم شيئا))كجواب للتأويل الادبي الذي تمارسه جمالية التلقي٠(٢٣)

اذن الفهم يمر بثلاث مراحل لأجل الوصول الى المعنى وهي إدراك الكلام ، وفهم التركيب ، وفهم الدلالة ،حينئذ نحصل على المعنى المراد٠

وهكذايتضح لنا دور المتلقي في قراءة النص ،لأن الأمر لا يتعلق بالقراءة، أو بادراك الفهم فحسب ٠ بل العملية تنهض على المستوى الايديولوجي لدى المبدع ، فيحدد له موقعا في اللغة الادبية (النص) وتدركه قراءات عديدة ،ويأتي القاري الضمني فتحصل ديناميكية الانتاج٠وعملية تركيب الادراك والفهم ٠هي لحظة تفاعل القارى مع النص،ويكتمل الابداع عندما يدخل القارى في عتمة اللغة التي تختزن كنوز الابداع ويعمل على فتح النص ليكون مهيأ لانتاج المعنى والدلالات ٠

<u>-المعنى الفلسفي للمكان:-</u>

أخدت الظاهرة المكانية تشغل حيزا واسعا من الفكر الانساني قديما وحديثا ، وأدرك الانسان أثر المكان في حياته منذ البداية، وترك بصمات بيئية ونفسية ،يجعلها تقيم بينه وبين العالم المحيط لما له أهمية كبيرة٠

نشأ المفهموم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفا، إذ إن بواكير النشأة بدات مع الفلسفة اليونانية، التي أخدت معنى يحمل في طياتيه معنى يميزه عن غيره من المفهومات الاخرى كالحركة والزمان والتناهي والجسم الطبيعي (٢٤)

إن اول من استعمل المكان كمصطلح فلسفي هو أفلاطون الذي عد المكان ((الحاويا وقابلا للاشياء))(٢٥) فهي عملية الاحتواء ضمن حيز مكاني، بحيث لا يعدو أن يكون أكثر من مسافات ممتدة والحاوية العامة للكائنات المحسة ،وجاء أرسطو وأثبت أن المكان ((موجود وبين ولا يمكن نفيه أو انكاره))(٢٦) فالمكان بحسب تصور أرسطو موجود لأننا نشغله ونعيش في حيزه ،ويمكن ادراك وجوده من خلال الحركة٠ وإنه ثابت لا ينتقل بانتقال المتحرك (٢٧)

ولعل الفيلسوف العربي (الكندي) أحد الفلاسفة الاوائل الذين أدخل هذا المصطلح في دائرة البحث الفلسفي٠ وحدد دلالاته الاصطلاحية والنفسية والفلسفية،لما له من تأثير مباشر في الحياة الانسانية في مختلف أبعادها ومستوياتها٠ إذ ذكر بان المكان ((ثابت لايفسد، ولايرتفع من الوجود))(٢٨)٠

وسار من بعده على النهج نفسه الفيلسوف (الفارابي)الذي أكد ما ذهب اليه الكندي٠ ولعل هذا الموقف ومن قبله (الكندي) ينهضان من تعريف أرسطو الذي أثبت العلاقة بين المكان والمتمكن٠(٢٩)

ولعلنا لا نجد إضافة للفلاسفة العرب على المكان ٠ ودلالته المعروفة عند الفلاسفة اليونانية ٠ ولم يعد إلى مفارقة تلك الدلالات أو التمرد على معروفه الأساسي ٠أو يخرج من كهفه الذي انغلق عليه منذ كينونتة الأولى٠ربما السبب يعود الى اقتناع فلاسفة العرب بتفسيرات ارسطو بالمكان ومدى تأثرهم بارائه ، لذلك فهم لم يضيف أي شيء الى فلاسفة اليونانية ٠

غير أن الدارس الحديث أصبح ينظر إلى المكان بوصفه جزءاَ اساسياَ ومكوناَ ذات قيمة فنية في بلورة النص الأدبي ٠ على أساس أنه ((مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم ،ويتكون من مواد ،ولا تتمدد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب بل هو نظام من العلاقات المجردة يستمد من الأشياء المادة الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني أوالجهد الذهني المجرد)) (٣٠)

لذا لم يعد ينظر إلى المكان بوصفة حالة معايشيه فحسب ، بل اداة فنية تكسب للنص الأدبي قيمته الجمالية ،لان ((موضع أو محل ادراكاتنا ،وهو يحتوي على كل الامدادات المتناهية ،وإنه نظام تساوق الأشياء في الوجود وصيتها الحضورية في تلاحق وممارسة وتجاور ونقارن)) (٣١)اذن فالمكان لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي للكاتب ،بل يمكن تصوره على المستوى الذهني ، لان الأمر متعلق بذات الكاتب ما بين انفتاحه نحو الخارج وانغلاقه، وتتضح ابعاده بقدر التأثير الاجتماعي ٠ فالواقع يبقى خارجاَ ما لم تجر فيه أفكار يصنع من خلالها الكاتب معنى تصوريا جديدا لابعاد ذلك المكان ،على أساس أن الخيال يلغي موضوع الظاهرة المكانية أي كونها ظاهرة هندسية واقعية تنطلق منها ،ويحل محلها ديناميته الخاصة بالمفارقة لذا تتخذ صفات المكان وملامحة طابعاَ ذاتياَ وينتقي بعدها الهندسي (٣٢)

ومن هذا المنطلق انطلقت الدراسات الحديثة –ولا سيما الأدبية – إلى دراسة المكان بوصفه سمة جمالية ٠وازدادت العناية بعد ظهور كتاب جماليات المكان لمؤلفة (غاستويا باشلار)الذي يرى أن في دراسة ((الخيال لا يوجد موضوع دون الذات ،بل أن الخيال ،بالنسبة للمكان يلغي الظاهرة المكانية ،أي كونها ظاهرة هندسية،ويحل مكانها ديناميته الخاصة(المفارقة) وعندما يتحول الخيال الى الشعر فهو يلغي السببية ليحل محلها ((التسامي المحض))))(٣٣)

ولأجل تفعيل قمية المكان في النص الادبي ،وإعطائه بعدا جماليا ذا طبيعة خاصة في النص يكتسب قيمته الفنية ٠لابد من لغة تفعل هذه القيمة ،لأن النص ((تجسيد لغوي لكائن وانفتاح خارج اللغة على الكينونة في الغياب ،أي أنه علاقة جدلية بين الحضور والغياب ،فالحضور هو التجسيد اللغوي للنص ،والغياب هو البعد الخفي أو البنية العميقة للنص))(٣٤) وتتجلى أهمية اللغة المتشكلة في النص الادبي في أنها لغة متنوعة ينتظم في نسقها العديد من اللغات تبعا لتعدد الافكار والمشاعر والدلالات التابعة للمبدعيين بحسب مستوياتهم الفكرية ،وإنتماءاتهم الاجتماعية((لذلك يتميز عالم الحكي الروائي بأنه عالم لغوي ،وباللغة يتمكن الروائي من بناء مكان فني في الرواية له ملامحة الخاصة وأبعاده المميزة ، وحياته الخاصة ، وهويته المحددة ،بحيث تصبح بنية هذا المكان الفني إنموذجا لبنية اي مكان واقعي خارج فضاء الرواية))(٣٥)

وبهذا تمنح اللغة المكان الادبي مدلوله لأنها تسهم على نحو رئيس في تشكيليه عن طريق الالفاظ والصور، إذ ترتبط اللغة الشعرية في عالم الحكي وبالكيان الداخلي والتقني وتظل محافظة على دلالاتها المعنوية والجمالية ٠وبذلك يكون دور الحضور والغياب قد أعطى نوعا من العلاقة بين الانسان والعالم الخارجي٠ولغة الحكي ؛ لغة إشارية في أعلى مستوياتها ٠إن تصور الحياة كما هي يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطع اللغة التعبير عنها(٣٦)٠

ومن المعلوم إن اختيار الروائي للمكان الخيالي لايمكن تشكله على نحو عفوي دون وجود أرضية يستند إليها، فعليه أن يكون قد مارس تجربته على خلفية واقعية ؛ثم شكله في أفق مخيلته ٠ وهنا يسعى الراوي إلى ((أضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة يساعد على تجسيدها وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه إلى الافهام ٠ وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية

والاخلاقية والزمنية ،بل أن هذا التبادل بين الصورة الذهنية والمكانية نابعة من حضارة المجتمع وثقافته))(٣٧)

وحين نرصد في النص الادبي مكانا خياليا تشكل بفعل اللغة ،فان نسق الكلمات يوحي بتشكل الصورة الذهنية في مخيلة الراوي ؛وتكتمل الصورة،اذا تمكن المتلقي من إدراك مغزى الراوي من المكان المتشكل.

وبما أن صور المكان كثيرة ؛فالراوي يوظفها بحسب رؤيته الفنية.فمنها ما يكون تخيليا من الواقع ،ومنها ما يكون تخلييا أضفى عليه بعض المعالم من الواقع ،ومنها ما يكون خاليا يبقى محصورة في ذهن الراوي من دون الاطلاع عليه من أحد.

المكان المتخيل :-

التخيل لغة ((تخيل الشيء له:تشبه وتخيل له أنه كذا أي تشبه وتخايل ، ويقال: تخيلته فتخيل لي))(٣٨)ويقال كذلك ((التخيل ترادف (التوهم والتمثل)نقول : تخيلته متخيل لي كما تقول تصورته فتصور ، وتوهم الشيء:تخيله وتمثله ،سواء أكان في الوجود أم لم يكن))(٣٩)

وفي الاصطلاح الأدبي هو ((تأليف صورة ذهنية تحاكي ظواهر الطبيعة وإن لم تعبر عن شيء حقيقي موجود وهو القدرة المسؤولة عن استحضار الصورة المرئية مفردة أو مجتمعة في الذهن وتوليفا هذه الصورة توليف جذابا خادعا للعقل))(٤٠)

ترجع جذور هذا المصطلح إلى زمن بعيد ، ولكننا سنكتفي بذكر آراء مجموعة من فلاسفة العرب الذين شكلت آراءهم مناخا مناسبا يتماشئ مع طبيعة البحث والاجراء.

ولعل الكندي من أوائل الفلاسفة الذين ادخلوا هذا المصطلح في دائرة البحث الفلسفي ، فقد ذكره مرادفا للتوهم ، منطلقا بذلك من المدلول اللغوي ، اذ قال ((التوهم هو الفنطاسيا قوة نفسانية ومدركة الصورة الحسية . غيبة طينتها ، ويقال :الفنطاسيا هو التخيل ، وهو حضور صورة الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها)) (٤١)وهذه اشارة إلى أن قوة الصورة المتخيلة هي تشكيل من التجربة المحسوسة عالما جديدا.

وميز حازم القرطاجني بين المصطلحين (التخيل – التخييل) في أثناء تعريفه للشعر ،وحدد بان التخيل ((هو أن يقوم الشاعر باستعادة الصورة الحسية والمعاني الذهنية المختزلة في ذاكرته ويقوم بتجسدها في صورة لفظية ووزنية ؛أي مكان الصورة مختزلة في

الذهن))(٤٢)وبما أن عنصر التخيل مشترك بين الشاعر والراوي فمجرد قيام الراوي بتصوير الصورة في خاليه وتمثلها عن طريق الالفاظ في الرواية وتوجيها نحو المتلقي الذي بدوره يتخذ وقفة سلوكية منفعلة تكون للصورة المتشكلة مكانا متخيلا٠

ومن جهة اخرى نرى أن المكان الرمزي هو الأخر يلتقي مع المكان التخيلي في علاقة جوهرية ،تؤثر في المتلقي ،وأشار الى ذلك (انغاردن)عندما جعل المبدع يكتسب بموضوعات التخيلية ،يظهر فيه سلوكا نفسيا وذاتيا ،أو يكون المكان المتمثل (المتخيل) بموضوعات المتخيل هو المكان المتمثل في العمل الادبي (٤٣) ،فالمكان الذي يظهر على سطح الورقة ،هو إسقاط ما يدور في ذهن المبدع من إنفعالات وشعور نفسي ظلت عالقة في ذهنه ،فجاءت بشكل رمزي ،وهي ليست عملية تأليفة أو منطقية أو تحليلية ، إنما صور تخيلية جاءت بشكل رمزي وغايتها التأثير في المتلقي والوقوف على مدى معاناته القديمة٠

وعلى هذا الاساس يعد التخيل وسيلة اساسية لرسم أبعاد المكان في ذهن المبدع والمتلقي ،لأن التخيل يمتل((القدرة المسؤولة عن استحضار الصورة المرئية مفردة أومجتمعة في الذهن))(٤٤) وهذه الصور سواء أكانت صادرة على نحو شعوري ام غير شعوري فانها نابعة بقصدية المبدع ،الذي يحاول بشتى الوسائل ايصال الصورة التي تم جمعها الى المتلقي((تحت عتبة اللاشعور فترسم خطوط الصورة في العقل الباطن قبل ان تنبثق وتظهر ،فهي اذن عملية شعورية لعمل لاشعوري))(٤٥)

وبناءعلى تصورات المبدع الذي اعتمد على التخيل في وسائلة الخاصة تنشأ العلاقة بين ذهنة وبين الشئ المتخيل ٠فتنعكس لنا صورة هذا الشيء المتخيل عن طريق الوسائل المتاحة ، والعلاقة هنا ليست علاقة ارسال واستقبال فقط ، بل علاقة الانتاج واستهلال ، فبذلك تصل الصورة الى ذهن المتلقي ، باعتبار ان ((اللغة ليست مجرد التمثيل الرمزي للافكار والاشياء ،انما هي الوسيلة المباشرة للتعبير عن المشاعر والافكار ،ويدخل ضمن ذلك لغة الجسد والايحاءات وغيرها من وسائل الاتصال))٠(٤٦)

ويبرز المكان في الرواية على نحو واسع،فهو مساحة معروضة أمام الانسان ،وعبر تنقله من مكان الى آخر يفسح مجالا للمخيلة أن تلعب دورا في استحضار الصورة ٠والصورة هنا تنطلق من الداخل الى الخارج وتنهض بقوة الخيال والحلم٠

ف(إبراهيم حسن الناصر)يكشف لنا معاناة الايام وقسوتها معه عبر أرسال صورة مخيلة الى المتلقي٠

فمن عمق ارتباط الصورة بالمكان ،وما يحمله من دلالات ،وصلة بماضيها ،يرسم لنا الراوي صورة مخيلة في ذهنه،تأخذ مادتها الجزئية من الواقع ثم يشكلها في ذهنيه،كمثال على فاعلية العين الباطنية (الذاكرة)نقرأعند إبراهيم حسن الناصر :-((الليلة الهادئة أو ربما هي استراحة ٠٠٠مؤقتة ٠٠٠يتوقف كل شيء الا موجات البحيرة واهتزاز الزورق٠ احدق في مدى الرؤية في قاع البحيرة المظلم ٠٠ اسند ظهري على مقدمة الزورق٠٠٠٠٠واصمت هيفاء٠٠بتول ٠٠ايفون٠٠أجساد مرمرية وأرواح شاردة٠تهادى الزورق الجميل في بحيرة الثرثار٠٠الموج المتلاطم يحطم الرمال ٠٠ ارمى حلم السنين الضائعة ٠٠ يندفع الزورق في الثرثار ٠٠ القي بايفون بنت بيروت في الماء٠٠٠ يطفو الجسد الحنطي في زرقة ، انتشلها من عبثها ٠٠ تقهقة الباقيات والزورق يجوب البحيرة ٠٠ أغرف الماء ، القيه على وجه بتول الاسمر الخجول ، اقفز في البحيرة ، تمتد الايادي الجميلة واصعد ٠٠تضغط هيفاء على زر المسجل الذي بيدها ،يـــــصدع صوت وديع الصافي))(٤٧)

قبل البدء بتحليل النص الادبي ،يتوجب علينا أن نبين ظرفية هذا الخطاب ،وما المبرر من ذكر أسماء الفتيات ،على اعتبار أن الجبهة لا تمت باية صلة باسماء تلك الفتيات ،لا من قريب ولا من بعيد٠لان الجبهة مكان للقتال –وعادة– يكون التواجد للرجال٠اما ذكر الاسماء فتعود الى الايام الدراسيةالجامعية ،التي قضى مع تلك الفيات حياة جميلة ٠

واول علامة فارقة تدلنا على استدعاء الذاكرة جاءت بعدما ساد المنطقة صمت ثقيل الى جانب هدوء نسبي على مدار الجبهة ٠ففيه استرجع الراوي ماضيه الجميل وأطلق عنان خاليه نحوه متذكرا اسماء ظلت عالقة في ذهنه ٠فهذا الاستدعاء يحمل بين طياته طابعا صوريا من العقل الباطن لأحساس لاشعوري ناتج من الحالة النفسية ٠

لذا نرى أن الراوي رسم صورة متخيلة قوية الآخذ مفرداتها تقوم على غبار الماضي البعيد٠فصورة الفتيات وما جرى بينهم ٠ماهي إلا مناورة لذكراهم من خلال آثارهم في الاعراب عن حضورهم ٠وذلك بالامساك بالزمن البعيد في لحظة من لحظاته٠وكذلك نرى أن ذكر (بحيرةالثرثار) إشارة الى قيام الكلية بسفرة سياحية الى تلك المنطقة٠وهذه إشارة الى أن الجو الذي ساد حينئذ كان جوا مفرحا تسوده الضحكة والسرور في السفرة٠وعليه يستعير الراوي تلك الصور ليسخرمن الوضع الحالي في الجبهة ٠وشتان ما بين المكانين٠

فصورة الامس البعيد،وهي بلا شك صورة جميلة ومؤثرة في حياتيه ٠وقيمة الذكر في هذا المكان٠وكأنه تصريح على نحو غير مباشر عن قسوة المكان وصعوبة الحياة٠

ومن جهة اخرى يسعى الراوي الى إثبات أن قسوة المكان وصعوبة الحياة التي لم تمح من ذاكراته تلك الصور الجميلة،لأن مكان الصور متعلق بالادراك الذهني٠وفي الوقت نفسه ،يصر الراوي على تصوير المكان بطريقة شعرية تنقله من صفته الواقعية الى الصفة الخيالية من خلال عمل الخيال فيه٠

ومن جانب آخر نرى أن المكان ينقسم عند الراوي على قسمين (٤٨)

الاول –المكان المتمنى الذي طالما حلم الراوي العيش فيه بعد ما وضع الظرف الحالي حاجزا بينه وبين ذلك المكان٠فاستخذم خاليه في تحقيق التواصل معه٠

الثاني –المكان المتذكر الذي يهيج الذكريات في نفس الراوي ،فمجرد التفكير به بوصفه يمثل الماضي الاليف الجميل الذي ذهب مع الزمن من دون العودة

وإن فظاعة مجريات الحرب لم تزل تلازم الراوي حتى ادخلت في نفسه عامل الرعب والهلع والخوف النفسي٠حتى هذه الارض لم تسلم من معاناة الحرب التى تركت أثارا تراود الانسان بمجرد التفكير بها،بعدما ترسخ المشهد في ذاكرتيه٠

<u>فيقول الراوي:-</u>

((حين تحدق في الأرض ينكمش قلبك فزعا ،إنها مقلوبة٠إنها منقوشة ومحروقة،مسودة٠٠من كثرة ما وقع عليها من قنابل ٠لم يتوقف القصف لا ليل ولا نهار ٠كانت المسافة من خط صولتنا الى العدو طويلة ٠والحرارة عالية ،والتعب والانهاك العالي جعلنا نفقد سوائل اجسامنا بسرعة،وإلا كيف مات قاسم بهذه السهولة ٠٠إنها الجحيم المالح٠٠لو تأخر الماء ساعات، اخرى،لمات كل الجنود عطشا ولكنت أنا أولهم(٤٩)

في هذا النص صورة صريحة ،إذ يكشف لنا الراوي عن يأسه من الحياة التي ينبعث فيها الحزن والأسى ،وما يزيدها حزنا هو سقوط (قاسم) فكأنما الأمر ينتظر الكل٠

ففي هذا الموقف ينهض مشهدان ٠مشهد القصف المستمر على أرض المعركة ٠ومشهد حصاد الحرب لارواح الجنود ٠ففي هذا اللحظة يتخيل الراوي ويعمق النظر نحو الارض فيصفها (مقلوبة- منفوشة –محروقة)فهذه الصفات متخيلة منتفاة من أرض الواقع ،وفيها يعلن الراوي انفصاله عن محيطه وينشط فعالية مخيلته بحيث يسجل إبداعا بواقعه

،فيبدأ باستعارة واقع آخر رسمته مخيلته (أنها الجحيم المالح) لحظة نهاية الحياة على أرض المعركة٠

على الرغم من أن الصورة المتخيلة هنا تتكىء على الاستصراخ ،وتحيل الى معان بعيدة عن المعنى المباشر٠فالآرض جميلة ؛ فلماذا هذا الدمار ، والحياة جميلة؛ فلماذا هذا التغيير ،وان مصير الانسان هو (الموت) ٠ففي هذه الجمل إشارة بليغة غير مباشرة وكأنها صراخ الى وقف الحرب وإعطاء الارض زينتها حتى تعيد بريقها مثلما كانت من قبل ٠

المكان التخييلي :-

اذاكان التخيل يحدد طبيعة المحاكاة الشعرية من جانب المبدع ، فإن (التخيل)يحدد طبيعة المحاكاة من زواية المتلقي٠(٥٠)٠فالتخييل هو الأثر الفاعل الذي تشكل عند المتلقي ٠

ويضع الفارابي التخييل في قوامة الشعر وعده من أبرز الأسس الفنية والنفسية التي تحدد جوهر الشعر وطبيعته ، ومهمته في تصور الشعر عملية تخيلية تتم في رعاية مخيلة الشاعر وترمي إلى أثارة القوة المتخيلة لدى المتلقي والتي تثير بدورها النزوعية لديه وتوجهها فيتخد المتلقي وقفة سلوكية خاصة تتجلى في فعل أو انفعال تقوده اليه مخيلته التي تستجيب للتخييل الشعري وتتأثر به وذلك بوساطة صور القصيدة التي تستثار في مخيلة المتلقي (٥١)٠ويؤكد حازم القرطاجني الى فاعلية التخييل والمحاكاة مفسرا تعليل سلطانهما على مخيلة الانسان وتحقيق الاثارة المرجوة بسطا أو قبضا ،ويوضح حازم أن اقتران التخييل بالمحاكاة والايهام قد يتم تصوير الشيء وتخييله على غير ما هو عليه والغاية هي استدراج المتلقي٠(٥٢)

من جهة اخرى نرى أن هناك علاقة متبادلة للتخييل بين المبدع والمتلقي ، فالمحاكاة الشعرية تثير القوة المتخيلة عند المبدع بكيفية تستثير معها القوة النزعية ،والتي بدورها توجه المتلقي لاستجابة المحتوي التشكيلي ((فالقوة المتخيلة عند المتلقي ،نظير القوة التي ابدعت المحاكاة نفسها عد المبدع ، والنظير يتعاطف-عادة- مع النظير ، فضلا عن أن القوة المتخيلة عند المتلقي هي القوي الفاعلية في الـــــــجوانب الذاتية للانسان)) (٥٣)

ولأجل تشكيل الصورة المكانية يتطلب من المبدع اثارة المتلقي ودفعه لاتخاذ موقفا يتسم بالاستجابة ،لأنها بالاساس عملية موجهة الى المتلقي على نحو مقصود٠ والعملية تبدأ بالصورة المخيلة التي ينطوي عليها (النص)،وينطوي النص على معطيات بينه وبين الإثارة المرجوة علاقة الاشارة الموحية ،وتحدث العملية فعلها عندما تستدعي خبرات المتلقي المختزلة،والمتجانسة مع معطيات الصور المخيلة فيتم الربط –على مستوى اللاوعي من المتلقي –بين الخبرات المختزلة والصور المخيلة ٠فتحدث الإثارة المقصودة،ويدخل المتلقي عالم الايهام الموجو٠(٥٤)

يقدم التخيل مدخلا لاقامة مشهد ذهني عند المبدع ثم يعرضها على عقلة ،ثم ياتي دورالتخييل الذي يمثل وسيلةالمحاكاة لتحقيق غايتها في التأثير عند المتلقي ودفعه للاستجابة ،سواء أكانت المحاكات مباشرة بتخييل الشيء باوصافة ، أو غير مباشرة بتخييله في شيء آخر ٠(٥٥) ولتحقيق غايته المقصودة عليه استدراج المتلقي الى مشهده خيالا واستفزازه لان التخييل هنا ينتج انفعالات تقضي الى إذعان النفس ،فتبسط النفس عن أمر من الامور اوتنقبض عنه ،من غير رؤية وفكرة واختيار ،أي على مستوى اللاوعي وذلك في المقولة النفسية الارسطوية التي تؤكد أن الانسان يتبع بحسب تخيله أكثر مما يتبع عقله أوعلمه (٥٦) تاركا للمشهد وحده أن يثير في نفس المتلقي ما يثير من انفعالات ،فتنهض الصورة في مخيلة المتلقي ٠

وإنطلاقا من هذا التحديد نجد ان حصول الصورة هو الغاية المرجوة ، ان كان من الشعر أو من نص ادبي آخر ٠وعليه يمكن لنا أن نتابع الصور المكانية المتخييلة عند نص روائي ٠ما دام الامر يسمح لنا برصد تشكل الصور ٠

بذلك يكون مصطلح التخيل يعبر عن تخيل الكاتب للمعاني الذهنية والصورالمتشكلة،اما التخييل فهو تجسيد تلك المعاني المتخيلة على نحو صور حسية،او مسموعة باللفظ ٠وياتي دور المتلقي بتقبل تلك الصورة من خلال الاستجابة والتأثر بها ٠

لقد وفق (ابراهيم حسن الناصر) في تقديم مشهد صوري مكاني تخييلي ،جاء على نحو منسجم مع محتويات نصوصه ، دالا عليها وحقق وظيفة فنية أدبية ٠إذ تكمن متلقي النص من الولوج في العالم الداخلي لجزئيات المكان ، وتكشف لنا الصور التخييلي عبر الحوار الذي أدخل الراوي عالم المتخيل ٠إذ قام بخلع ملامح المكان عليها مستفيدا من لحظة التأمل والتفكير إذ قال:-(٥٧)

- أدخل مناحي يده في جيبه وأخرجها وقال :
- خذ هذا ٠
- أنه ناب حيوان ٠
- ناب ذئب شامي ٠
- كيف حصلت عليه ٠
- هجم الذئب على الغنم فقتلته زوجتي ٠
- زوجتك ٠
- نعم ٠
- الصحراء ٠الخشونة ٠٠الشجاعة ٠الصبر ٠ إمرأة تقتل الذئب الشامي الشرس ، إنها تدافع عن بيتها نعن مواشيها ٠٠إ أباه رجل كبير السن وأبناءه صغار ولهذا قامت زوجته بما يقوم به أشجع الرجال ٠

تأملت ناب الذئب ،قلت في نفسي كم من اللحم مزق هذا الناب ؟ كم من الارواح أزهق ٠٠كأن اللؤلؤء ناصع البياض أملس))

يشير هذا النص الحواري الى أن الراوي تحول من حالة الابداع الى موضع التخييل ٠ونراه قد تأثر كثيرا بما سمعه ورآه بعينه ، فوضع نصب خياله حولها وما يفضي من تصورات متخيلة ٠

يبدأ المشهد بموقف عصيب وغريب يختار الراوي فيه لحظة تستوجب الوقوف عليها (الناب –ذئب شامي –الصحراء) فتألق خيال المتلقي واستحضر مجموعة من الصور المكانية في ذهنه تفسر بوجود هذه الاشياء ،وهي محاولة لاضفاء الحيوية على المشهد المكاني ٠وهنا دخل المتلقي في عالم اللاوعي ٠

فوجود (الناب) إشارة رمزية الى شجاعة المرأة ،وكأنها إعلان أمام الملأ أن الهزيمة هي المعطى أمام الشجاعة أو البطولة ، لهذا السبب يحتفظ مناحي ب(الناب) ونلاحظ كذلك هنا كيف دفع الامر بالمتلقي للا ستجابة والتأثر بهذا الامور وإقامة صور مكانية (تخييلة)عبر تأملاته (غياب الأب يجعل من المرأة تقوم مقام الأب) وهذه الصورة ما هي الا استغراقه في عالم الخيال والتأويل، وكذلك (الذئب الشامي) وهو بلا شك حيوان شرس يعشق ظلام الليل حيث تلمع عينه بوميض الجوع باحثا عن الفريسة في ظلمات الليل بغفلة من أهلها وترتجف امامه الفريسة ٠ولكن المراة تقف هنا بشجاعة فائقة أمام الذئب لتثبت

وجودها ٠وهذا الامر أثر في المتلقي ٠فراح الى استحضار صور مكانية ويعرض مجموعة من التأويلات (إن أباه رجل كبير السن) و(أبناؤه صغار) بذلك تكون الصور دعامة للتأويل ووسيلة ينشط من خلالها الخيال للاحاطة بمصير الاشياء ومآله٠

وكذلك نرى أن المتلقي يطيل التأمل ب(الصحراء) وهي عالم وأسع مفتوح واسع لا يرى فيها الانسان سوى لون الرمال ، وقد عمد الراوي الى دفع المتلقي نحو إختيار صور متخيلة فاستحضر (الخشونة – الشجاعة) جاء مقترنا بانتقاء مفردات تدل على البطولة والقسوة ٠فلجوء المتلقي الى هذه الصور مثل تنفيسا عما يدور في داخله٠

فانتاج المكان التخييلي من خلال تجسيم القيم المفهومية وإضافتها الى محتويات المكان ليصيره خياليا عبر تأملأته بمصير الانسان امام الخطر٠

فالمشهد المنقول في هذا النص الادبي لم يكن حياديا ، لأن السارد لم ينقله كما هو تماما ليترك الحدث في مواجهة المتلقي ، بل نقله بعد أن أخضعه لرؤيته وأفكاره ، فالعدسة التي شاهده المتلقي الاحداث من خلالها هي عدسة الراوي التي لا يمكنها أن تكون حياديا خالصة ٠

ويتضح التخييل على نحو أفضل ،عندما نرى الراوي يتأمل في اللوحة التي وقعت بيده ،وفيها صورة لفتاة ٠وتترك اللوحة في نفسه أثرا كبيرا ؛فنراه يطيل النظر والتامل ٠وتزداد خفاقات قلبه بنشوة النظر فيقول :-(٥٨)

((هناك في الزاوية اليسرى من الورقة مرآة على شكل قلب وفيها تخطيط لفتاة جميلة يتدلى شعرها فوق كتفها وعلى صدرها وهي تذرف الدموع ونظرتها باتجاه صورته ٠٠؟

أتامل اللوحة ٠جيدا ٠ إنها الحياة كلها بآلامها وآمالها ٠٠باحلامها ودوافعها ٠أغلقت الدفتر وأعطيته لحظة ليعيده الى جيب الجثة ٠٠وفي نفسي قرار بأني سوف لن أترك هذا الدفتر بلا صاحبه ٠٠سأضعه في جيبه لكي لايذكرني دائما بمأساة اسمها الحرب٠٠))

في هذه الصورة ،وقف الراوي أمام اللوحة ،وأطال النظر في صورة الفتاة ٠وتخيل لماذا تذرف الدموع ٠وعرض من خلالها تساؤلات عديدة٠ولكن سرعان ما أوجد حلولا لها ٠ لذلك نراه يعيد الدفتر الى جيب صاحبه ٠لا نه لا يريد أن يبقى أي ذكريات للحرب ٠

فظهور صورة الفتاة المفاجئة ،أوجدت في نفسه دلالات ، أفرزت في داخله مشاعر الفراق والحرمان أوبصورة أدق يمنح العاطفة مشهدا يسبب انفلات المكان لديه بتأثير قوة الذكريات والحرب التي تهيمن على أرجاء المكان وعلى نفسية الانسان ٠لذلك يبحث الراوي

بعين الخيال عن مكان آخر يعيش فيه بعيدا عن الحرب وآثارها ،لأنها ذات وقع نفسي على طبيعة الانسان ٠ولاسيما حين يتذكرها ، يلازمه الغضب والاسف على تلك الايام، وهذا الامر دفعه لاعادة الدفتر الى صاحبه٠

المكان الخيالي:-

الخيال لغة :-خال الشيء :ظنه وتفرسه ، خيل عليه :شبه وأخال الشيء اشتبه ، والخيال : كل تراه كالظل ، وربما مربك الشيء شبه الظل فهو خيال ٠ ويقال تخيل له خياله، والخيال والخيالة : ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة والخيال والخيال: الطيف ،وكذلك خيال الانسان في المرآة وخياله في المنام صورة تماثله(٥٩)٠

يتضح من خلال هذا التعريف أن الخيال له صور عديدة ؛منها حقيقية واخرى مجازية ومنها صور من الواقع تتحقق ،ومنها كالطيف أو الحلم لا يمكن تحققه أو ادراكه ٠اذا فهو لا يقف عند حدود الرؤية البصرية ،بل يتعدى شكله عن طريق تصورات الذهن الى تشكلات جديدة ٠

ومن المعلوم أن محاكاة الطبيعة ليست دائما على درجة واحدة من التأثير ،وإنما يكون تأثيرها مساويا لمقدار الابداع ،ومرتبطا باستعداد النفس لقبولها(٦٠)ومجال الابداع مرتبط بقوة الخيال الذي هو نشاط إنساني وفعالية موجود عند المتخيل (المبدع) والتخييل عند (المتلقي) من أجل أن تكون المعرفة الانسانية للصور ممكنة٠

وأشار حازم القرطاجني الى فاعلية الخيال من حيث تشكيل الصور وإقتباس المعاني والمشاكلة بين الصور والمعاني٠فقد أشار الى أن ((لاقتباس المعاني واستثارتها طريقان :أحدهما تقتبس منه لمجرد الخيال وبحث الفكر ،والثاني تقتبس منه بسبب زائد على الخيال ٠٠٠فالاول اذا كانت صور الاشياء قد ارتسمت في الخيال على حسب ما وقعت علبه في الوجود وكانت للنفس قوة على معرفة ما تماثل منها وما تناسب وما تخالف وما تضاد٠٠٠والثاني الذي هو اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو استند فيه بحث الفكر الى كلام جرى في نظم أو نثر أو تاريخ أو حديث او مثل))(٦١)

وربط (كولردج) ملكة الخيال بجدية الاشياء حين عده ((القوة السحرية التي توفق بين صفات متنافرة ٠وتظهر أشياء قديمة مالوفة بمظهر الجدة والنضارة إنه (٠٠٠)إجتماع حالة غير عادية من الانفعال بحالة غير عادية من النظام)(٦١)فالحياة

وما فيها من حقائق والكون وما فيه من معلومات ؛ تصل إلينا عن طريق الحواس ٠ووظيفة الخيال عندما يركب معطيات الحس ويضم بعضها الى بعض في صور أكثر اتساعا ٠((فالمبدع البارع هو الذي يربط عن طريق الخيال بين أشياء لا صلة بينهما كما تبدو في أعين الناس))(٦٣)

يرتبط الكاتب بحياة الناس ،وهذا الارتباط له ميزة التمايز عنهم ،لأنه يمتلك حاسية الابداع ،تمكنه من الالتفات الى ما لا يلتفت إليه الناس ،وكذلك تمكنه من الكشف عن جوانب جديدة ،لا يدركه الانسان العادي ٠ولأ إدراك الجوانب ،لا بد ان ((يفسح للخيال أفاقا واسعة ويفاجأ ببوادر عجيبة من الصور والمعاني الجديدة))(٦٤)فهويستطيع ايجاد ما يريد من تصور خيالي ٠ تنبثق منها صور خيالية تكون قادرة على تأجيج مشاعر المتلقي ، لانها تحمل أنفاسا مشحونة بالانفعالات ٠ في حالة القلق والاضطراب ٠ يصبح الانسان اسير نفسه ٠ ضائعا في بر واسع يمنحه اي امان او ثقة ٠ لان الخوف دخل من اعماقة وتغلغل في عروقه ٠ فيتبادر الى ذهنة صور من ماضية السحيق ٠فالمكان الخيالي في الرواية مع امتلاكه مسميات وصفات واقعية ، يبقى مكانا خياليا ، الأ أن البحث هنا ناظر الى المكان الذي يفقد محاكاته للواقع القريب ٠ الى ذلك نرى (ابراهيم حسن الناصر)يتذكر صورة قريتة الجميلة بعدما تأزم الموقف في الجيهة ٠ فراح يطلق عنان خياله ويتامل فيقول (٦٥)

((أتامل قرص الشمس الذي أوشك أن يتوارى خلف المدى البحري ٠٠٠ الارض إخضرار كبير ٠٠ المدى قمح وعشب وورد بالالوان كلها ٠٠ الربيع سيدناهنا ٠٠ التلال المتموجة ٠٠ بساط الخضرة الزهرة ٠٠ لاشيء سوى زرقة السماء إخضرار لونان هادئتان ٠٠ يبعثان في النفس والارتياح ٠٠

تتركني مساحة امتار ٠٠ تأتيني عدوا كالغزال ٠٠ ماهذا ٠٠ انه حلم ٠٠ أتاتين الى هكذا ؟ ايقترب المستحيل من الممكن ٠ ألتهما ٠٠ وأغيب ٠٠ أجعل القمح بساطا لي ٠٠ تغمرنا السنابل وهي تتراقص ٠٠ انظر باتجاه مكحول ٠٠ جبل كحلي اللون ٠٠استمد اسمه من لون لاشجر عني العشيبات التي تنبت بين الصخور ٠٠ تنهض معي ٠٠ الى افق النظر ٠٠ يكون مكحول سدا امامنا ٠٠٠٠

يبدأ المشهد بموقف عصيب وحرج يختار الراوي لنفسه لحظة ثبعت في نفسه الاسى والحزن ، لحظة آيلة الى الموت والفناء ٠ انها لحظة القتال ٠

فاذا بذاته تتحرك في مخاطبة موجودات ٠ او بالاحرى يحاول ان يقيم حوارا مفترضا بينه وبين المكان البعيد ٠ نراه يسرح حلمه يذهب بعيدا ذاكرا الحياة وسريانها من خلال حركة الانتقال بين الامكنة ٠ علما ان سبب الانتقال ناتج عن توتر الموقف في الجبهة وسفره مع حركة الناس تعبير ضمني عن تذمر وامتعاض من الحرب التي تأخذ ولاتعطي إلا دمار ٠ فـ(مكحول) ذلك المكان البعيد منسوج في ذاكرته الشخصية ومخزون فيها تستدعيه كلما تأزم الموقف عليه تستدعيه على غير انتظام او ترتيب ، تظهر على مستويات متعددة كالحلم او الذاكرة ٠

ان تراصف اماكن عدة تدل على رؤية بصرية ذهنية ٠ او انه حلم يحلم به الراوي لذا نرى يصفه لنا وصفا دقيقا ويرسمه رسما كاملا من خلال حركة الاشياء ٠ فالخيال يلعب دورا في ابراز حلم الراوي على ارض المعركة ٠

ونلاحظ كذلك إن الراوي يلجا الى عرض الحلم عن طريق الهواجس وفيه يأخذ المكان أشكالا متعددة ،يحافظ الراوي على حضوره الزمني ،ساعيا منه الى الامساك بلحظة من لحظات حياته فيقول الراوي :(٦٦)

((الهواجس تأتي من الحلم ،بل هي حلم الحذر ٠يسكنني هاجس انتهاء الحرب ،بداية لعهد التفاهم ٠ماذا في حلمي غير هذا ٠٠وبأي شيء يمكن أن أشغل أفكاري٠٠هل أنا عائد الى ظلال النخيل ،وبساط عشب البراري الأمنة ؟أم اني أنساق نحو جحيم المصير ،كل ما في مجموعة تناقضات ،الاولى ضدي والاخرى معي ، وأنا لست بمخير الانتقاء ٠٠))

يرسم لنا الراوي ،في هذا النص لوحة فيها مقابلة صورة الحاضر بالماضي ،فكأننا نراه ضالا تائها لا يعرف الطريق ،لا يعريف كيف يشغل أفكاره ، والى أين يساق به الامر ٠ أشد ما يحير الراوي هو من معه ومن ضده ٠ وفي الأخير أيقن الراوي الحقيقة ،فنقل لنا صورة تظهر استغرابه من البحث والاختيار (وأنا لست بمخير الانتقاء ٠وفي افق هذه الرؤية المشهدية أقام الراوي مشهدا حلميا بمكونات بين هاجس الحرب وحلم الانسان نبدأبزمن الوعي (الحاضر) إزاء زمن آخرينظر إليه الراوي ٠فقدم زمن الحاضر (الحرب – الهاجس –الحلم) لان الان أفكاره مشغولة فهو يتأمل باتجاه المستقبل، والعيش على الامل أفضل من تحقيقه ٠اما الزمن الأخر صعب الامساك به لأن الامر يتعلق بمشيئة الله عزوجل ومن خلال التأمل ينهض مشهدا آخر فيه ذكريات (ظلال النخيل) و(بساط عشب البراري) وهو محاولة ان ينفض عن نفسه ويخفف من التأملاته النفسية ٠لذا وجد احضار

صورة (اسديرة) ملجا يأوي اليه يتخلص من الجو الكئب الذي يبعث الى داخله كل مشاعر الحزن والاسى ،وكذلك محاولة منه العثور على مكان بعيد عن ويلات الحرب وآمن لم يتحقق معه الا عبر اكتشاف واستحضار صورة(اسديرة) في ذهنيه ٠

ومن جهة اخرى نرى أن الراوي عندما يتعامل مع الزمن البعيد فإنه يتخيل مشهدا لعلاقة الحياة بالموت مستعيرا صورته من قريته ويبني لقطة للتغيير بفعل الزمن،والذي لا يتوقف فيختارصورة طبيعة ،لان هذه الصور تنعدم في هذا المكان الكئب٠بعنى آخر نسعد بمكان ما لأنه كان مسرحاَ لتجارب حياتيه معينة أو لنجاح ما ، فنشعر بأننا جزء من ذلك المكان ونعيش فيه بفرح حتى ولو كنا بعيدين ٠

الخاتمة

كان هدف البحث واضحا من البداية ،الا وهو تكوين الصورة التشكيلية المتبلورة في ذهن المبدع ، وإحداث تأثير على المتلقي لتقبل الصورة ،التي يعمل على بناء وعي نصي ،نتيجة تأثيرالحالة النفسيةالتي يمربها المبدع،حاملا للدلالة التي يصبغها المكان على صورته،والتي يفهم القارى نفسه أمامها، ذلك التكوين الذي جعل من البحث عملا فنيا٠

وأثناء مسيرة البحث اسطتعنا أن نصل الى جملة من النتائج تمحورت تجسيدها حول المكان وأبعاده، وحضور حيثياته في المخيلة ٠فكانت هذه الوقفة تبين أهم ما جناها الباحث خلال هذه المسيرة وهي : –

- للتلقي دور خاص في النص الابي ،يترتب عليه استنطاق النص وفك شفراته ويترك استجابة في ذات المتلقي ،وموقف الاخير يتمتل في الفاعلية التأويلية والدلالة التي يمارسها المبدع ،محققا بذلك متعةجمالية للنص الادبي ٠
- المكان يشكل موضوعا فنيا في النص الادبي ،ورؤية الانسان تختلف من الفرد الى الآخر، فلا بأس من النهوض بأنواع جديدة للمكان ضمن رؤية ومشهد نفسي تبلور في مخلية المبدع ٠
- كشف لنا المبدع البعد الجمالي للمكان ،وبيين مقدرة إبداعية وخيالية ، وفق فيها الراوي باللغة الادبية (الشعرية) التي تمتلك الرؤية وتسمح له بالابداع عبر خيالات وأسعة٠

- يتعامل الراوي مع التخيل ،عندما يشتد عليه الموقف ولا سيما اذا كان الموقف يتسم بالحياة والموت ٠فيستعير مشهد من الماضي لتخفيف الازمة ويستغرق بالتأملات نحو الماضي الذي يمتاز باللحظات الجميلة ويسودها الفرح والسرور ٠وهذه بمثابة الهروب من الواقع٠
- إن المتلقي لا يرى المكان بوصفه فكرة واقعية ،بل ما ينعكس عليه من تأثير نفسي يواجه حالة إزاحة الواقع والبحث عن واقع جديد يحتمي به٠
- إن الانسان يقاس باحساسه وشعوره وقلبه لا بوجوده المادي ؛من هنا نجد تشكيل القائم على تفاعل الذات مع الواقع٠

الهوامش

١)ينظر:مفردات الفاظ القرآن :الراغب الاصفهاني :٤٧٣-٤٧٤

٢)البقرة :٣٧

٣)التفسير الكبير ومفتاح الغيب :محمد فخرالدين الرازي :ج٣ ٠م٣ ٠١٩

٤)الكشاف على حقائق التنزيل وعيون الاقاويل:الزمخشري:ج١: ٢٧٩

٥) اية قرانية

٦)التحرير والتنوير:محمد الطاهر بن عاشور :

٧)معجم مقاييس اللغة :أحمد بن فارس :مادة (لقي)

٨)لسان العرب :ابن منظور :مادة (لقي)

٩)العين :الفراهيدي:ج٥ :٢١٦

١٠)مغاني النص:(دراسات تطبيقية في الشعر الحديث) سامح الرواشذة:٩٤

١١) م ، ن :٩٤

١٢)تمنع النص متعة التلقي :بسام قطوس :٥

١٣)دراسات في القصة العربية :مجموعة الباحثين:وقائع مكناس :٣٧

١٤)مفهوم القاري وفعل القراءة في النقد الادبي المعاصر:محمد خرماش:٢٠

١٥) م ، ن :٩٤

١٦)الاصول المعرفية لنظرية التلقي ناظم عودة خضر :١٦٣

١٧)تمنع النص متعة التلقي :٣١

١٨) م ، ن :٣١

١٩)الاصول المعرفية لنظرية التلقي :١٦٣

٢٠)مفهوم القاري وفعل القراءة في النقد الادبي المعاصر:٢٥

٢١) م ، ن :٢١

٢٢)الاصول المعرفية لنظرية التلقي :١٣٦

٢٣) م ، ن :١٣٦

٢٤)ينظر:نظرية المكان في فلسفة ابن سينا :حسين مجيد العبيدي :١٩

٢٥)ينظر :مدخل جديد الى الفلسفة :عبد الرحمن بدوي :١٩٦

٢٦)ينظر: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا :٢٧

٢٧)م ، ن :٢٨

٢٨) م ، ن :٢٨

٢٩) م ، ن :٣٣

٣٠)الخيال الشعري في القصائد العشر الطوال :عمار حازم العبيدي :٣٤

٣١) م ، ن :٣٤

٣٢) م ، ن :٣٦

٣٣)جماليات المكان :باشلار :١٢

٣٤)الخيال الشعري في القصائد العشر الطوال :٣٦

٣٥)المكان والمنظورالفني في روايات عبدالرحمن منيف :مرشد أحمد:١٠٥

٣٦)الخيال الشعري في القصائد العشر الطوال :٣٦

٣٧)بنأء الرواية(مقاربة في ثلاثة نجيب محفوظ) سيزا قاسم:٣٥

٣٨)لسان العرب :ابن منظور :٠مادة (خيل)

٣٩) م ، ن :

٤٠) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب :مجدي وهبة:٩١

٤١) رسائل الكندي :١٦٧

٤٢)مفهوم الشعر :جابر عصفور :٢٥٣

٤٣)الاصول المعرفية لنظرية التلقي :٨٨

٤٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب :مجدي وهبة:٢٣٩

٤٥)سيكولوجية الابداع في الحياة :٦٤

٤٦)علم النفس النمو :مريم سليم :٢٩٤

٤٧) شواطي الدم شواطي الملح :ابرهيم حسن الناصر:٣٣-٣٤

٤٨)البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد)محمد كريم:٣٧٥

٤٩) شواطى الدم شواطى الملح :١١٥-١١٦

٥٠)البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد) :٣٧٥

٥١)تلخيص ابن سينا ضمن فن الشعر :ترجمة بدوي :١٦٢

٥٢) مفهوم الشعر :جابر عصفور :٢٤٧

٥٣)المصطلح النقدي في منهاج البلغاء وسراج الادباء :زيد قاسم:١١٠
٥٤) البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد)محمد كريم:٣٧٧
٥٥) مفهوم الشعر :جابر عصفور:٢٤٧
٥٦) البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد)محمد كريم:٣٧٨
٥٧) شواطي الدم شواطى الملح :٢٧-٢٨
٥٨)م ، ن :١٢٤
٥٩)لسان العرب :٢٦٤
٦٠)البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد):٣٧٨
٦١) المصطلح النقدي في منهاج البلغاء وسراج الادباء :زيد قاسم:١١٥
٦٢)تميهد في النقد الادبي روز غريب :٨٦
٦٣)في النقد الادبي دراسة وتطبيق :فائق مصطفى،عبد الرضا علي:٣٨
٦٤)سريالية الخيال في شعر البردوني :نوفل حمد:٤
٦٥) شواطي الدم شواطى الملح:١١٩
٦٦) شواطي الدم شواطى الملح:٤٧

المصادر والمراجع

١- - رسائل الكندي الفلسفية ،تحقيق -عبد الهادي ابو رويدة- مصر-١٩٥٣ الاصول المعرفية لنظرية التلقي :ناظم عودة خضر-دار الشرق والتوزيع-الطبعة الاولى -١٩٩٧
٢- البلاغة والنقد (المصطلح،والنشأة،والتجديد):محمد كريم الكوال -الانتشار العربي -الطبعة الاولى ٢٠٠٦
٣- بناء الرواية (مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ)سيزا قاسم-دار التنوير للطباعة والنشر -بيروت -لبنان (د-ت)
٤- بنية الشكل الروائي:حسن بحراوي:المركز الثقافي العربي -الطبعة الاولى-١٩٩٠
٥-التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور ،دار الشرقية -تونس -١٩٥٦
٦-التفسير الكبير ومفاتيح الغيب :محمد فخر الدين الرازي-دار الفكر-ج٣-م٤
٧- تمنع النص متعة التلقي (قراءة ما فوق النص) بسام قطوس -ازمنة للنشر والتوزيع- الطبعة الاولى - عمان الاردن -٢٠٠٢
٨-تلخيص ابن سينا ،ضمن كتاب ارسطو(فن الشعر)ترجمة عبد الحمن بدوي دار الثقافة بيروت -لبنان ،١٩٧٣بيروت -لبنان ،١٩٧٣
٩- تمهيد في النقد الادبي روز غريب - الطبعة الاولى - دار المكشوف -بيروت -١٩٧١
١٠- البلاغة والنقد (المصطلح،والنشأة،والتجديد):محمد كريم الكوال -الانتشار العربي -الطبعة الاولى ٢٠٠٦

١١- بناء الرواية (مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ)سيزا قاسم-دار التنوير للطباعة والنشر -بيروت -لبنان (د-ت)

١٢- بنية الشكل الروائي:حسن بحراوي:المركز الثقافي العربي -الطبعة الاولى-١٩٩٠

١٣- جماليات المكان :جاستون باشلار -ترجمة :غالب هلسا -دار الجاحظ للنشر - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد ١٩٨٠

١٤- الخيال الشعري في القصائد العشر الطوال - عمار حازم العبيدي- عالم الكتب للنشر والتوزيع عمان الاردن-٢٠٠٩

١٥- دراسات في القصة العربية (وقائع مكناس) مجموعة الباحثين -موسسة الابحاث العربية -بيروت - لبنان ١٩٨٦

١٦- سريالية الخيال في شعر البردوني ،نوفل حمد -مجلة جامعة كركوك للعلوم الانسانية- ٢٠٠٧

١٧-سيكولوجية الابداع في الحياة، عبد الغني الحسين -الدار العربية للعلوم -الطبعة الاولى -بيروت - لبنان ٢٠٠٠

١٨-شواطى الدم شواطى الملح، ابراهيم حسن الناصر-١٩٨٦

١٩- العين :الخليل أحمد الفراهيدي - تحقيق مهدي المخزومي -ابراهيم السامرائي-بغداد- ١٩٨٦

٢٠-علم النفس النمو: مريم سليم - دار النهضة العربية- الطبعة الاولى- بيروت - لبنان -٢٠٠٢

٢١- في النقد الادبي الحديث(دراسة وتطبيق) فائق مصطفى،عبد الرضا علي-دار الكتب للطباعة - الموصل-١٩٨٩

٢٢ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل :لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري -دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الاولى - بيروت - لبنان ١٩٧٧

٢٣- لسان العرب -ابن منظور -دار صادر -بيروت - لبنان (د- ت)

٢٤- مدخل جديد الى الفلسفة :عبد الرحمن بدوي الكويت -١٩٧٥

٢٥- المصطلح النقدي في منهاج البلغاء وسراج الادباء :زيد قاسم ثابت- جامعة الموصل (رسالة ماجستير) باشراف د،نزهة جعفر حسن- ١٩٩٨

٢٦- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب :مجدي وهبة وكامل المهندس-مكتبة لبنان- بيروت- ١٩٧٩

٢٧- مغاني النص دراسات تطبيقية في الشعر الحديث -سامح الرواشذة- الموسسة العربية للدراسات والنشر- الطبعة الاولى- عمان - الاردن -٢٠٠٦

٢٨- مفهوم القارى وفعل القراءة في النقد الادبي المعاصر:محمد خرماش- الاقلام -العدد الخامس -١٩٩٩

٢٩- مفردات الفاظ القرآن :العلامة الراغب الاصفهاني - تحقيق صفوان عدنان داوودي-دار القلم - دمشق - الدار الشامية بيروت (د- ت)

٣٠- مفهوم الشعر :(دراسة في التراث النقدي) جابر عصفور: المركز العربي للثقافة والعلوم :١٩٨٢

٣١ – مجعم مقاييس اللغة :(طبعة جديدة مصححة وملونة) أحمد بن فارس اعتنى به محمد غوض–فاطمة محمد أصلان دار أحياء التراث العربي –بيروت – لبنان– الطبعة الاولى –٢٠٠١
٣٢– المكان في شعر الصاليك :خالد جعفر مبارك –جامعة ديالى– ٢٠٠٦
٣٣– المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف :مرشد أحمد دار القلم –الطبعة الاولى– ١٩٩٨
٣٤– نظرية المكان في فلسفة ابن سينا :حسين مجيد العبيدي –دار الشوون الثقافية العامة– بغداد – ١٩٨٧.

The receiver and philosophy of the place in the novel of (beaches of blood beaches of salt) as a pattern

Abstract

The place leaves a big effect on human being, and the man's feelings become deeply attracted to the place the more it lasted long. Feelings increase when we look towards an old place that is rich in happenings full of sadness and happiness. Because of this reason the obsession of the place becomes an isolated space in the memory. That represents an important center we speak about from time to time.

In the light of this vision, vision built a new language characterized by a shorthand language full of poetic features having a philosophical vision that was made by imagination.

Then real place retreats in front of new place, which is formed in the writer's imagination through the openness of the memory towards past.

Naturally, the writer's activity of imagination becomes full of life, and in return the receiver's activity of imagination becomes full life too.

And language becomes the means of communication between them.

Due to the construction of the language in the literature text becomes a construction characterized by a poetic speech which has a beautiful spatial feature. And on the basis of our trying to study the poetry of the place in the narrative texts. Especially in the novel of (beaches of blood beaches of salt), and we tried to explain how does the place construct a subject of imagination to the narrator.